أنتَ لي صديقٌ أمين

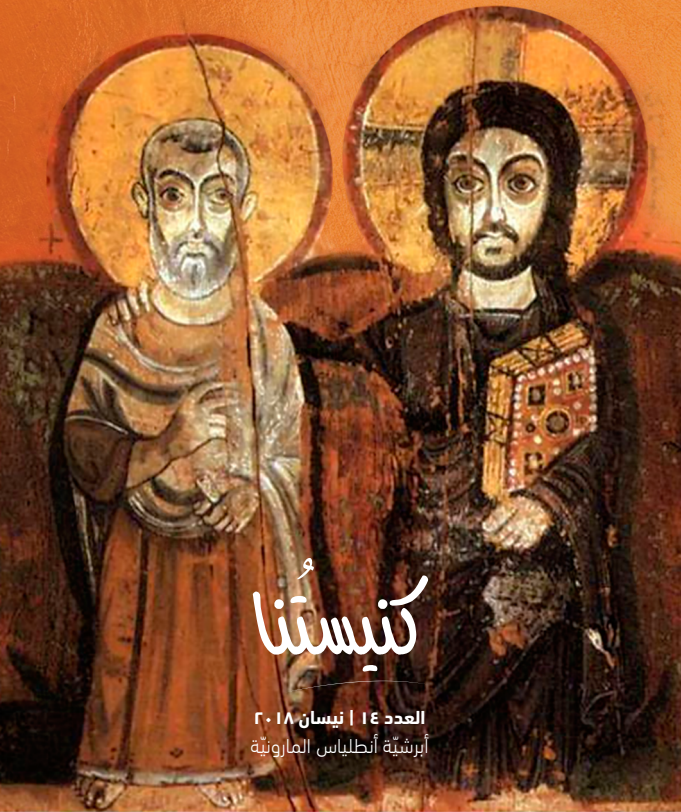

كنيستُنا

العدد ١٤ | نيسان ٢٠١٨
أبرشيّة أنطلياس المارونيّة

صورة الغلاف

إيقونة الصداقة

إيقونةٌ قبطيّةٌ من القرن السابع تحملُ في بساطةِ خطوطِها أجملَ معاني الصداقة.

لا يظهرُ يسوع في الإيقونةِ كملكٍ أو معلّمٍ ولكن كصديق؛ فهو يضعُ ذراعَه اليُمنى على كتفِ القدّيس مينا (الشّهيد القبطي من القرن الثالث) ويحملُ في يسارِه الكتابَ المقدّسَ الذي يحفظُ قصّةَ الحبِّ بين الله والإنسان.

القدّيس مينا يمثّلُ كلَّ واحدٍ منّا، لذلك يقفُ يسوع إلى جانبه، يرافقُه، يشاركُه أعباءَه في الحياة ويعزّيه.

وبما أنّ المسيح دعانا أحبّاءَه، فهو يقدّمُ الصداقة لكلِّ من يقبله. واستقبالُ هذا الحبّ يؤدّي بشكلٍ طبيعيٍّ إلى نقله للآخرين، من هنا نرى نظرات يسوع ومينا متّجهة نحو الأمام وغير منغلقة. هذا ما يجعلُنا نتذكّر أن يسوع صديقنا، هو دائمًا معنا في رحلتِنا في الحياة وفي مسيرتنا نحو الآب.

تُحفظ الإيقونة حاليًّا في متحف اللوفر في فرنسا.

صداقتي مع الله

على الرّغم من أنّك تعلم أنّ "الصّديق الأمين لا يعادله شيءٌ وصلاحه لا موازن له" (سي ١٥/ ٦) إلّا أنّ كثيرون من حولك أرادوكَ أن " تحذر من أصدقائك" (سي ٦/ ١٣)، لأنّهُم اختبروا أنّ الصّداقة الحقيقيّة لا مكان لها في هذا العالم. فهي، بحسب اختباراتِكَ السلبيّة، تقتربُ من ذوي المال وتبتعد عن الفقير، تسعى للمنفعة الشخصيّة، فترى "كلّ أصحابك غَدروا بك صاروا لك أعداء" (ار ١/ ٢) فتعود وبك ألمٌ من الغدر قائلًا: "جُرحت في بيت أحبّائي" (زك ١٣/ ٦).

إلّا أنّ الصّداقة تبقى في مفهومها إخلاصٌ وثقةٌ وشركة. فهي تخدم وتساند وتشدّد. هي دائمة ولا تشوبها مصالح، تبدأ عند المساندة في وقت الضّيق والعوز كما في أزمنة الفرح والصّحة. تراها تُبذِل النّفس وتجمع حتّى النّهاية.

لذلكَ، يكونُ "الصّديق الأمين دواء الحياة،

والّذين يتّقون الرّب يجدونه" (سي ٦/ ١٦)، والصّداقة الحقيقيّة هي من الله ولله. فمن سواه الصّديق الصّالح الصّادق والأمين، الّذي يجعلك من خاصّته ويحبّك إلى المنتهى، بسيطاً كنتَ أو منبوذًا أو مكروهًا، لا تخف أن تجازف معه فحُبّهُ ثابتٌ دائمًا وأبدًا. ولو تخلّى عنك الجميعُ وخدعوك ، ستجدّد صداقاتك من صداقتِهِ، فتغفر بدورك وتحبّ من دون شروط، غير آبهٍ بالجروح. فالصّداقة تبني وتَحلُّ الخلافات بالمحبّة والتّفاهم والوداعة (غل ٢/ ١١-١٤) "فلا تُبدِّل صديقًا بشيء زمنيّ، ولا أخًا خالصًا بذهب أُوفير". (سي ٧/ ٢٠)

صلاة الصداقة

يا ربّ،
علِّمني أن أُحبَّ الآخرينَ كما أنتَ أحببتني.
ساعدني في بناءِ صداقاتٍ أساسها الاحترام والتفاهم وبذل الذات. إجعلني صديقًا على مثالِكَ، أنتَ الّذي دعوتني كي أكون صديقَك.
بارِكْ أصدقائي كي يكونوا لي عائلةً ثانيةً،
وقدِّسْ صداقاتي، واجعَل مِنها مكانَ اختبارٍ لحُبِّ الله،
يُفضي بنا إلى القداسة.

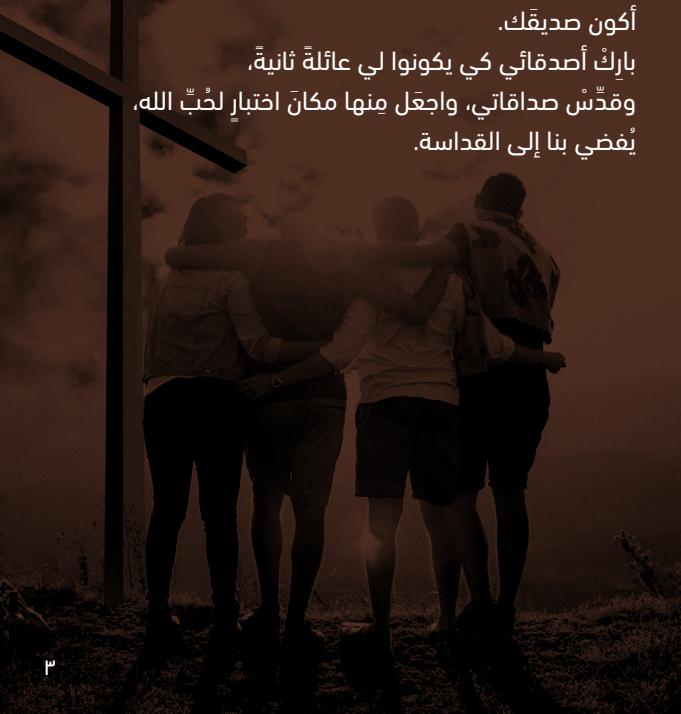

هل أنتَ رفيقٌ أم صديق؟

تحوي اللّغة العربيّة كلمتين غالبًا ما نعتبرهما من المرادفات ونجهل الفرق البسيط والجوهريّ بينهما، فما الفرق بين الصدّيق والرفيق؟

الرفيق هو مَن جَمَعَتني به الظّروف والمصالح المشتركة. هو الشخص الّذي ألتقي بهِ بشكلٍ مستمرٍّ وأمضي معظم أوقاتي برفقته، ولكن ليس بالضرورة أن تجمعني به علاقةٌ عميقة. يدخل حياتي في ظلّ ظروفٍ معيّنةٍ ويبقى فيها إلى حينِ تتغيّر الظروف ويخرج من حياتي كما دخل...

أمّا الصديق فالأمر يختلف حين نتكلّم عنه، لأنّ ما يجمعني به هو رباطٌ جوهريٌّ أساسه الصّدق والشفافيّة. من الممكن ألاّ يكون قريبًا زمانيًّا ومكانيًّا، إلاّ أنّه في اللّحظة الّتي ألتَقيه ينتابُني شعورٌ بالسلام وكأنّه كان دومًا حاضرًا معي ولا أخاف أن أرمِيَ بذاتي بين يَدَيه وأمامَهُ تسقُط الأقنعة. الصديق يقبلني كما أنا ولا يبحث أن يُصيّرني مثله.

الصديق متى وجدته ودخل حياتي لا يمكن أن يخرج منها طالما تجمعنا الثقة والصدق.

في النهاية، إنّ البحث بالقوّة عن الأصدقاء لا يُجدي نفعًا، لأنّ الله نبع النِعَم هو من يضع على دربي الأصدقاء عندما أكون صادقًا وشفّافًا في علاقاتي مع الآخرين.

مقوّمات الصداقة المسيحيّة

بين المنطق الدنيويّ العلمانيّ والمنطق المسيحيّ...

كثيرًا ما نسمع بعضهم يناديانا: **"يا صديقي"**، أو أنّنا بمجرّد أن تربطنا بأحدهم علاقة مودّة حتّى نعتبره صديقًا.

هذا مُحتملٌ في المنطق الدنيويّ العلمانيّ، أمّا في المنطق المسيحيّ، فالأمر يختلف بعض الشيء. فللصداقة في المسيحيّة، مقوّماتٌ خاصّةٌ تجعلها تتخطّى المفهوم المنسوب إليها في المنطق الدنيويّ، لتحوّلها إلى "صداقةٍ روحيّة".

وفيما تجمع الصداقة في المفهوم الأوّل بين شخصَين مشتركَين في مصالحٍ أو نشاطاتٍ أو حتّى عقائدٍ وقيمٍ واحدة، فالصداقة الروحيّة تنطلق من الأرضيّة نفسها، ولكنّها تتخطّى بجوهرها الصداقة بمفهومها الأوّل، إذ أنّها لا تقوم لغايةٍ غير الصداقة بحدّ ذاتها، ولا تبحث عن شيءٍ سوى عن تحقيق ذاتها في المحبّة الّتي تجمع ما بين الصديقَين.

وإذا ما كنت تتساءل إن كانت صداقتك مع أحدهم روحيّة أم لا، فميّز في حياتك: هل صداقتك هذه تحثّك على النموّ في الفضيلة المسيحيّة وتجعلك تختبر بعمقٍ محبّة الله الشخصيّة لك؟ وإن كان تمييزك إيجابيًّا، فصديقك هذا نعمةٌ وَضَعَها الله في حياتِكَ.

فاشكر الله عليها، واشكر صديقك لمجرّد كونه صديقًا... روحيًّا.

ما الذي يدفعني إلى عيش الأمانة؟ وما الرّابط بين الأمانة والحبّ؟

محبّة الله للإنسان هي محبّةٌ بلا شروط وأمينةٌ حتّى الموت، موت الصليب.

فالمسيح على الصليب عاش جذريّة الحبّ التي تجسّدت بالأمانة المطلقة لمشيئة أبيه من جهة، ولمحبّته لنا نحن البشر من جهةٍ أخرى.

أن تكون أمينًا لهذا الحبّ، ليس بشيءٍ سهلٍ، إنّما حبّك للربّ يدفعك أن تجلس عند أقدامه (كما فعلت مريم أخت لعازر) وتحسب كلّ شيء خسرانًا لتربح المسيح (في ٣/ ٨).

من هنا، ثمرة الحبّ هي الأمانة والحبّ هو الضمانة الوحيدة للأمانة، فيسوع كان أمينًا لي حتّى الموت، فيجب عليّ أن اكون أمينًا له وللآخرين حتّى الموت وهو سيعطيني إكليل الحياة (رؤ ٢/ ١٠).

فالشاهد الحقيقيّ للربّ يسوع هو إنسانٌ يحبّ أوّلًا وأمانته تُفحَص في النّار والشدّة والضّيق.